

يعتبر شعره سجل الأحداث، إنما يسجلها بدماء قلبه وأجزاء روحه ويصوغ منها أدبا قيما يحث النفوس ويدفعها إلى النهضة، سواء أضحك في شعره أم بكى وأمل أم يئس، فقد كان يتربص كل حادث هام يعرض فيخلق منه موضوعا لشعره ويملؤه بما يجيش في صدره. وبذلك قال محفوظ أن شعر حافظ إبراهيم أفصح أساليب العرب⁴.

وللأسف، مع تلك الهبة الرائعة التي قلما يهبها الله لإنسان، فإن حافظ عدم العناية بتنمية مخزونه الفكري وبالرغم من أنه كان رئيساً للقسم الأدبي بدار الكتب إلا أنه لم يقرأ في هذه الفترة كتاباً واحداً من آلاف الكتب التي تذخر بها دار المعارف، ولا أدرى حقيقة سبب ذلك ولكن إحدى الآراء تقول إن هذه الكتب المترامية الأطراف القتت في سأم حافظ الملل، ومنهم من قال بأن نظر حافظ بدا بالذبول خلال فترة رئاسته لدار الكتب وخاف من المصير الذي لحق بالبارودي في أواخر أيامه.

كان حافظ إبراهيم رجل مرحا وسريع البديهة يملأ المجلس ببشاشته و فكاهاته الطريفة التي لا تخطأ مرماها.

⁴ أحمد الخاشي، جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب (قاهرة : وزارة و التربية و التعليم جامعة الأزهر الشريف، مجهول

واها على دولة بالأمس قد ملأت **** جوانب الشرق رغدا في أياديها
 كم ظللتها و حاطتها بأجنحة **** عن أعين الدهر قد كانت تواربها
 من العناية قد ريشت قوادمها **** و من صميم التقى ريشت خوافيها
 و الله ما غالها قدما و كاد لها **** و اجتث دوحتها إلا موالبها
 لو أنها في صميم العرب ما بقيت **** لما نعاها على الأيام ناعبها
 ياليتهم سمعوا ما قاله عمر **** و الروح قد بلغت منه تراقبها
 لا تكثروا من موالبكم فإن لهم **** مطامع بَسَمَاتُ الضعف تخفيها
 (إسلام عمر)

رأيت في الدين آراء موفقة **** فأنزل الله قرآنا يزكيها
 و كنت أول من قرت بصحبته **** عين الحنيفة و اجتازت أمانبها
 قد كنت أعدى أعاديها فصرت لها **** بنعمة الله حصنا من أعاديها
 خرجت تبغي أذاها في محمدها **** و للحنيفة جبار يواليها
 فلم تكذ تسمع الايات بالغة **** حتى انكفأت تناوي من يناويها
 سمعت سورة طه من مرتلها **** فزلزلت نية قد كنت تنويها
 و قلت فيها مقالا لا يطاوله **** قول المحب الذي قد بات يطربها
 و يوم أسلمت عز الحق و ارتفعت **** عن كاهل الدين أثقالا يعانبها
 و صاح فيها بلال صيحة خشعت **** لها القلوب ولبت أمر باربها
 فأنت في زمن المختار منجدها **** و أنت في زمن الصديق منجبيها

